البعد التاريخي للشخصية في رواية (قديسو حدياب) لهيثم بهنام بردى

م.د. علي احمد محمد ألعبيدي
مركز دراسات الموصل
جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/١١/١٥ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٦/٧

ملخص البحث:

لا تخلو أحداث من دون شخصيات تقوم بفعلها، وقد اهتمت الرواية العربية المعاصرة بالشخصيات التاريخية في سردها لأحداث التاريخ، وتعددت نماذج الشخصيات التاريخية تبعا لتعدد الأحداث التاريخية الموظفة، فثمة شخصيات تاريخية مثلت التحدي والمواجهة ضد قوى الظلم والقهر، وثمة شخصيات مثلت الحاكم الضعيف، أو المستبد، وثمة شخصيات مثلت الحاكم العادل. وفي رواية (قديسو حدياب) تظهر تلك الشخصيات التاريخية بحسب ورودها في النص الروائي.

The Historical Dimension of the Character in H. B. Barada's Novel "Qidissu Hadiyab"

Lect. Dr. Ali A. M. Al-Ubaidi
Mosul Studies Centre
Mosul University

Abstract:

There are no historical events without characters do their action. Therefore, the contemporary Arabic novel tackled the historical characters through narrating history events. The forms of these characters are multiple according to the appointed historical events, so there are characters represented challenge and confrontation against the power of injustice and subjection, others represented the weak ruler, the tyrant, or the honest one. However, in Qidissu Hadiyab, these characters appear according to their arrival in the novel text.

المقدمة:ـ

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في تحديد البعد التاريخي للشخصية في رواية قديسو حدياب.

هدف البحث:

يهدف البحث إلى مقاربة الشخصية الروائية وربطها بمرجعياتها التاريخية.

أهمية البحث:

يهتم البحث بتسلط الضوء على الشخصية الروائية وربطها بمرجعياتها التاريخية.

حدود البحث:

تحدد البحث بقراءة **رواية(قديسو حدياب)** للقاص هيثم بهنام بردى.

هيكلية البحث: تشكلت هيكلية البحث من:

التمهيد:

- هيثم بهنام بردى/الهوية والإبداع
- المقاربة التاريخية

المبحث الأول:استدعاء الشخصية التاريخية

المبحث الثاني: مرجعيات الشخصية

التمهيد

أولاً: هيثم بهنام بردى/ الهوية والإبداع

هيثم بهنام جرجيس بردى،قاص وروائي عراقي ،ولد في الموصل عام ١٩٥٣،وشغل العديد من العضويات منها:

عضو اتحاد الأدباء العراقيين.

- عضو اتحاد الكتاب العرب.
- عضو نقابة الفنانين العراقيين.
- عضو فخري مدى الحياة في دار نعمان للثقافة اللبنانية.
- عضو المجلس المركزي للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- عضو المكتب التنفيذي للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق.
- نائب الأمين العام للإتحاد العام للأدباء والكتاب في العراق عن الثقافة السريانية.
- عضو هيئة تحرير مجلة العائلة.
- عضو هيئة تحرير مجلة شراع السريان.

كما حضر وشارك في العديد من المهرجانات والملتقيات من أبرزها:

١. الندوة العربية الأولى للقصة الشابة التي أقامتها مجلة الطليعة الأدبية في بغداد عام ١٩٨٠.
٢. ملتقى القصة العراقية في بغداد عام ١٩٩٥.

٣. ندوة الرواية العربية في بغداد عام ٢٠٠٢.
٤. الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥.
٥. الملتقى الرابع للقصة العراقية (ملتقى د.علي جواد الطاهر) في بغداد ٢٠٠٨.

نال التكريم ومنح الشهادات التقديرية عن مشاركاته العديدة وجوائز عن فوزه في المهرجانات والمسابقات الإبداعية ومنها:

١. منح شهادة تقديرية لمشاركته في الملتقى الثالث للقصة القصيرة جداً في حلب عام ٢٠٠٥.
٢. منح شهادة تقديرية من دار الشؤون الثقافية العامة في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦.
٣. منح شهادة تقديرية من دار نعمان للثقافة عام ٢٠٠٦ بمناسبة فوزه بجائزة ناجي نعمان اللبنانية العامية عام ٢٠٠٦.
٤. منح شهادة تقديرية من مؤتمر الأدب السرياني الثالث المنعقد في أربيل عام ٢٠٠٦.
٥. منح شهادة تقديرية من الملتقى الرابع للقصة القصيرة (ملتقى د. علي جواد الطاهر) عام ٢٠٠٨.
٦. منح شهادة تقديرية من مؤتمر الأدب السرياني الخامس المنعقد في السليمانية عام ٢٠٠٨.
٧. منح شهادة تقديرية من دار عراقيون للصحافة والنشر في الموصل عام ٢٠١٠.
٨. منح شهادة تقديرية ودرع الإبداع من مركز دراسات الموصل في جامعة الموصل عام ٢٠١٠.
٩. منح شهادة تقديرية من إذاعة صوت السلام من بغديدا (قره قوش) عام ٢٠١٠.

له العديد من الإصدارات الإبداعية في مجال القصة القصيرة والروايات والمسرحيات و الكتب والدراسات منها:

١. الغرفة ٢١٣/ رواية - مطبعة اسعد - بغداد١٩٨٧.
٢. حب مع وقف التنفيذ/ قصص قصيرة جداً – مطبعة شفيق - بغداد ١٩٨٩
٣. الليلة الثانية بعد الألف/ قصص قصيرة جداً - منشورات مجلة نون - الموصل ١٩٩٥
٤. عزلة انكيدو/ قصص قصيرة جداً - مطبعة نينوى - بغداد ٢٠٠٠
٥. الوصية/ قصص قصيرة - دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة - بغداد ٢٠٠٢.
٦. الحكيمة والصياد/ مسرحية للفتيان - مطبعة بيريفان - أربيل ٢٠٠٧
٧. الذي رأى الأعماق كلها/ كتاب انثيالات - مطبعة ميديا - أربيل ٢٠٠٧.
٨. مار بهنام وأخته سارة/ رواية - مركز أكد للطباعة والإعلان - عينكاوا - أربيل ٢٠٠٧.
٩. قديسو حدياب/ رواية - مركز أكد للطباعة والإعلان - عينكاوا - أربيل ٢٠٠٨.

١٠. تليباثي/ قصص قصيرة - دار نعمان للثقافة - بيروت ٢٠٠٨.
صدرت طبعتها الثانية عن دار الينابيع بدمشق عام ٢٠١٠
١١. التماهي/ قصص قصيرة جداً - دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة - بغداد ٢٠٠٨.
١٢. قصاصون عراقيون سريان في مسيرة القصة العراقية/ إعداد وتقديم - المديرية العامة للثقافة والفنون السريانية_ أربيل ٢٠٠٩
١٣. القصة القصيرة جداً في العراق/ إعداد وتقديم -المديرية العامة لتربية نينوى - الموصل ٢٠١٠

كتب عن تجربته الإبداعية العديد من الكتاب والنقاد العراقيون،فكتب عنه كل من: د. عمر الطالب، د. محمد صابر عبيد، د.نادية هناوي سعدون، د. ثائر العذاري، موسى كريدي، إبراهيم سعد الدين، امجد توفيق، يوسف الحيدري، جاسم عاصي، سليمان البكري، ناجح المعموري، عبد الستار البيضاني، صباح الأنباري، زهير الجبوري، أنور عبد العزيز، محمد الأحمد، ازدهار سلمان، جاسم خلف إلياس ، بولص آدم، عباس خلف، علي محمد الحلي، شاكر سيفو، إسماعيل عيسى، جمال نوري، حميد حسن جعفر، حمدي الحديثي، ناظم السعود، سمير إسماعيل، مثنى كاظم صادق، وعد الله ايليا، شاكر محمود الجميلي، نزار الديراني، جبو بهنام، .... وغيرهم.

افرد السيد إسماعيل فتحي حسين مفصلاً من مفاصل رسالته لنيل شهادة الماجستير من جامعة الموصل عام ١٩٩٧ باللغة الإنكليزية برسالته الموسومة:

"For grounding in Arabic Written Discourse With Special Reference To English"

وترجم له فيها قصة (العيون) من مجموعته القصصية (حب مع وقف التنفيذ) مع دراسة عن اللغة في هذه القصة. ترجمت بعض قصصه إلى اللغة الإنكليزية والهولندية والفرنسية.

ورد اسمه في كتاب(موسوعة أعلام العراق في القرن العشرين - الجزء الثالث - صفحة ٢٨١) الصادر عن دار الشؤون الثقافية العامة عام ١٩٩٨ لمؤلفه الأستاذ حميد المطبعي.

ورد اسمه في كتاب (موسوعة أعلام الموصل في القرن العشرين - صفحة ٦٠٠) الصادر عن وزارة التعليم العالي والبحث العلمي/ جامعة الموصل – مركز دراسات الموصل - عام ٢٠٠٧، لمؤلفة الأستاذ الدكتور عمر الطالب.

أصدر الأديب خاص ايشوع بربر كتابا عنوانه (حبة الخردل) وهو دراسات نقدية لنقاد وقصاصين وشعراء تناولوا تجربته في كتابة القصة القصيرة جداً مع مقدمة ضافية بقلمه.

أفرد الباحث جاسم خلف إلياس فصولاً من رسالته (شعرية القصة القصيرة جداً) عن تجربته في كتابة القصة القصيرة جداً والتي نال فيها شهادة الماجستير من كلية التربية - جامعة الموصل، عام ٢٠٠٧.

تناول الباحث فرج ياسين أحمد بالتحليل قصته (الأقاصي) في أطروحته "أنماط الشخصية المؤسطرة في القصة العراقية – دراسة تحليلية " والتي نال بها شهادة الدكتوراه من كلية التربية – جامعة تكريت عام ٢٠٠٦ م.

الجوائز التي حاز عليها:

- جائزة ناجي نعمان الأدبية اللبنانية لعام ٢٠٠٦.
- الجائزة الأولى في مسابقة القصة القصيرة التي أقامتها دار الشؤون الثقافية في وزارة الثقافة العراقية عام ٢٠٠٦ عن قصته القصيرة "النبض الأبدي".

ثانيًا: المقاربة التاريخية:

يعيد الروائي في استلهامه للتاريخ ترتيب الأشياء وتوزيع الأدوار كما يريد، تأصيلاً لرؤيته التي يقيم بناءها في معماره الروائي الجديد.

إن الروائي في انتخابه للأحداث التاريخية التي تشد نسيج النص ببنيته العميقة والشكلية المتماهيتين "يقدر المسافات، ويشكل الألوان، ويصور الأماكن والحالات، ويركب الحوارات، ويبني المشاهد، ويتعمق في الأمزجة، ويفسر المواقف، ويصوغ ردود الفعل، وينزل إلى حيث تمفصلات المجتمع في مكان وزمان معينين"[١] لينشئ بعد ذلك نصاً إبداعياً نواته وحدة التجربة الإنسانية، بمعنى أنّ ثمة أشياء تتجاوز المكان والزمان لتكون الجوهري في الإنسان. آن الأوان لاستخدام مصطلح (التخيّل التاريخي) بدل مصطلح (الرواية التاريخية)، فهذا الاستبدال يدفع بالكتابة السردية التاريخية إلى تخطّي مشكلة حدود الأنواع الأدبية ووظائفها، ثم إنه يفكك ثنائية التاريخ والرواية، ويعيد دمجهما في هوية سردية جديدة، ولا يرهن نفسه لأي منهما، وأنه سوف يتجاوز أمر البحث في مدى توفر الكتابة على مبدأ المطابقة مع المرجعيات التاريخية، ومدى الإفراط في التخيلات السردية، ثم إنه ينفتح على الكتابة الجديدة التي لم تعد حاملة للتاريخ، ولا معرّفة به، "إنما باحثة في طياته عن العِبر المتناظرة، والتماثلات الرمزية، والتأملات، والمصائر، والتوترات، والتجارب، والانهيارات القيمية، والتطلعات الكبرى، فكل هذه المسارات الكبرى في (التخيّل التاريخي) تنقل الكتابة السردية من موقع جرى تثبيت حدوده بصرامة إلى تخوم رحبة للكتابة المفتوحة على الماضي والحاضر بالدرجة نفسها من الحرية والاهتمام"[٢].

ويمكن القول بأن (التخيّل التاريخي) هو المادة التاريخية المتشكّلة بوساطة السرد، وقد انقطعت عن وظيفتها المرجعية واكتسبت وظيفة جمالية؛ فأصبحت توحي بما كانت تحيل عليه لكنها لا تقرّره، فيكون التخيّل التاريخي من نتاج العلاقة المتفاعلة بين السرد المُعزّز بالخيال والتاريخ المُدعّم بالوقائع، وقد ظهر على خلفية من أزمات ثقافية لها صلة بالهوية، والرغبة في التأصيل، والشرود

نحو الماضي بوصفه مكافئاً سردياً لحاضر كثيف تتضارب فيه الرؤى، وتتعارض فيه وجهات النظر، "فوصول الأمم إلى مفترق طرق في مصائرها يدفع بسؤال الهوية التاريخية إلى المقدمة، ولكن الخطر ينبثق حينما يروّج لوهم مفاده أنه بالارتماء السلبي في أحضان التاريخ يمكن تجنّب رهانات الحاضر المعقّدة، فيصبح الاتكاء على الماضي ذريعة لإنتاج هوية تقول بالصفاء الكامل، والنقاء المطلق. إذ أن وجود الماضي في قلب الحاضر يكون مهما بمقدار تحوّله إلى عبرة، وتجربة للتأمّل"(٣).

تحتلّ التخيلات التاريخية منطقة التخوم الفاصلة بين الواقعي والخيالي. ولطالما نظر إليها على أنها منشطرة بين صيغتين كبريين من صيغ التعبير: الموضوعية والذاتية، فهي نصوص سردية أعيد حبك موادها التاريخية، فامتثلت لشروط الخطاب الأدبي، وانفصلت عن سياقاتها الحقيقية، ثم اندرجت في سياقات مجازية، "فابتكار حبكة للمادة التاريخية هو الذي يحيلها إلى مادة سردية، وهذا يعني إعادة إنتاج التاريخ بالسرد، وما الحبكة إلا استنباط للأحداث المتناثرة في إطار سردي محدّد المعالم"(٤).

ولطالما ارتسم، على مستوى الأنواع الأدبية، تناقض واضح بين التوثيق التاريخي، والسرد الخيالي، ذلك لأنهما يختلفان في طبيعة الاتفاق الضمني المعقود بين الكاتب وبين قارئه. ومعلوم بأن هذا الاتفاق عرفي لكنه يُبنى على توقّعات مختلفة من ناحية القارئ، ووعود مختلفة من ناحية المؤلف، فحينما يفتح قارئ صفحات كتاب روائي، فإنه يهيّئ نفسه ليدخل عالماً غير واقعي، وفي هذا العالم الجديد فإن "معرفة مكان وقوع الأحداث وزمانها هي مسألة في غير محلّها"(٥)، ولكن حينما يفتح القارئ كتاب تاريخ يتوقّع أن يدخل، تحت قيادة الأرشيف، في عالم من الأحداث التي حصلت بالفعل، فإنه يأخذ حذره ويطلب خطاباً إن لم يكن صحيحاً بصورة تامة "فعلى الأقل يكون ممكناً وقابلاً للتصديق ومحتملاً، وفي كل حال أميناً وصادقاً"(٦). وهذا ما توصل إليه بول ريكور،ثم جرى التفريق بين التاريخ الذي هو "خطاب نفعي يسعى إلى الكشف عن القوانين المتحكّمة في تتابع الوقائع، والسرد الذي هو خطاب جمالي تقدّم فيه الوظيفة الإنشائية على الوظيفة المرجعية" (٧) كما يقول محمد القاضي ،فينتج عن هذا أمران، أولهما أجناسي يتصل بـــ "العلاقة بين الوظيفتين المرجعية والتخيلية في الخطابين التاريخي والأدبي. فالمؤرخ وإن خيّل يظل متحركا في مجال المرجع، أما الروائي فإنه وإن رجع إلى الواقع ماضياً أو حاضراً يظل خطابه مندرجاً في حقل التخيل. فالتاريخ يقدّم نفسه على أنه انعكاس وصياغة لفظية لأحداث واقعة، أما الرواية فتقدّم على أنها إبداع وإنشاء لعالم محتمل"(٨) وثانيهما يختص بنظرية الأدب "ومدارها على علاقة التناقض بين الخطابين التاريخي والروائي، فليس من شكّ في أن الرواية التاريخية تنطلق من الخطاب التاريخي، ولكنها لا تنتسخه بل تجري عليه ضروباً من التحويل حتى تخرج منه خطاباً جديداً له مواصفات خاصة ورسالة تختلف اختلافاً جذرياً عن الرسالة التي جاء التاريخ مضطلعاً بها"(٩). وعلى هذا

يندرج التاريخ في منظومة الأجناس ذات الغاية النفعية، وتندرج الرواية في منظومة الأجنـــاس ذات الغاية الجمالية. ثم تندمج هذه الثنائية في الرواية التاريخية التي تتميز عن غيرها من أنواع الكتابـــة التخيلية بكونها "تعلن استنادها إلى حوادث ماضية دوّنها السابقون، ومن ثمّ فإنها تستمد وجودها من الدوران حول هذا النص أو النصوص الماضية، مما يكثف صلتها بهذه الوقائع ويضفي على عالمها صبغة مرجعية واضحة" (١٠)، فهويتها السردية تتحدد من خلال التنازع بين التخيّلـــي والمرجعـــي. فتكون الراوية التاريخية نوعاً من السرد الذي "يرمي إلى إعادة بناء حقبة مـــن الماضـــي بطريقـــة تخّيلية حيث تتداخل شخصيات تاريخية مع شخصيات متخيلة" (١١).

المبحث الأول: استدعاء الشخصية التاريخية

يحدد الكاتب منذ البداية بعداً زمنياً للأحداث بنحو(٢٨٤م) ويستهل السرد بجملة سردية موهمة ليوقعنا بالإيهام السردي منذ البداية بين ماهو تاريخي مرجعي وماهو خيالي"**قـد تكـون الـضربة الأخيرة ،هكذا قرر الشاب الذي يحمل على منكبيه إضافة إلى الفأس ثمانية عشر ربيعا متداخلا بالعمل والكـد....**"(١٢) إن التسلسل الزمني للأحداث يعد أهم خصائص السرد التاريخي، إذ يكفي أن نضع الأحداث في تسلسل زمني للحصول على سرد تاريخي للأحداث، وتجري الأحداث في السرد التاريخي على وفق زمن تسلسلي منطقي، يتألف من بداية ووسط ونهاية، أما الأحداث فـــي الـــسرد الروائي فلا تخضع للتسلسل المنطقي الذي يحكمها بالعالم الخارجي، بل تخـــضع لمنطـــق الـــسرد الروائي الذي يتلاعب بالزمن، فيقدم ويؤخر. وهكذا، فإننا نميز بين زمنين: زمـــن القـــصة الـــذي يخضع للتسلسل المنطقي للأحداث، وزمن السرد الذي لا يخضع لهذا التسلسل، ويمكن أن نـــستعين بالخطاطة للتمييز بين هذين الزمنين(١٣)

أ ← ب ← جـ ← د زمن القصة

جـ ← د ← ب ← أ زمن السرد

وهنالك ثلاثة أشكال لظهور الشخصية التاريخية في النص الروائي، ومن هذه الأشكال:

ـ الاستدعاء بالاسم: أي ذكر اسم الشخصية التاريخية في سياق السرد الروائي، كما فعل ــ هيـــثم بهنام ــ في روايته "قديسو حدياب" إذ أشار إلى ربن بويا، والقديسة بربارة، وقد عجّـــت الروايـــة بأسماء الشخصيات التاريخية، كشخصيات مارعوديشو، ومـــارقرداغ، وقـــد تخـــضع الشخـــصية التاريخية الموظفة لمنطق السرد الروائي وخصائصه، فتصبح شخصية روائية كأي شخصية أخرى وقد سمح الراوي للشخصية التاريخية بالكلام والحوار مع الشخصيات الأخرى، وبتقـــديم تاريخهـــا بنفسها، فتظهر الشخصية التاريخية في السرد الروائي، وهي تتحدث بضمير المتكلم، ونجـــد مثـــالاً لذلك عندما تحدث الشيخ الراهب مع (بويا وبربارة) قائلاً :

"**أرى فيك وفي بربارة شـعلة وقـادة سـتهدي الأفـواج الراسـخة في العتمـة إلى النور،النـور الإيماني الذي لايؤمن إلا بإله واحد خالق الكون**"(١٤)، إذ تحدث الشيخ عن حياته، وسرد جزءاً من تجربته، وما حدث له وهو يجوب البلاد والأصقاع.

وقد جاء استخدام ضمير المتكلم في سرد أحداث(بويا وبربارة) متناسباً ومبدأ السرد الروائي، لذا فإن ما يسرده الشيخ عنهما، لا يعرفه أحد غيره، ويجهله الراوي نفسه الذي لا يعرف بالتأكيـــد،

ما حدث لهما فيما بعد، ولاسيما بربارة التي قضت شهيدة بحسب المفهوم المسيحي بعد أن أضحت قديسة في زمن كانت تعبد فيه النار المقدسة وهذا ماتناقلته المصادر التاريخية التي تحدثت عنها[١٥].

يشير الروي بصيغة ضمير المتكلم بوضوح أن الراوي لا يستطيع استخدام ضمير الغائب، لأنه يجهل كثيراً من المعلومات التي لا يعرفها إلا صاحب القصة نفسه.وقد يؤدي استخدام ضمير الغائب إلى الفصل بين الماضي والحاضر[١٦]، وبناءً عليه تصبح الشخصية التاريخية شخصية منتمية إلى زمن مضى من دون رجعة، زمن منقطع عن الحاضر انقطاعاً كاملاً، أما استخدام ضمير المتكلم فمن شأنه أن يقرب بين الزمنين، الماضي والحاضر، ويجعل الشخصية التاريخية شخصية حية، تغادر الزمن الماضي، لتعيش في الحاضر من جديد،وهذا ماجعل من الشخصيات في الرواية حاضرة إلى الأبد على امتداد الرواية بل حتى في الفكر النصراني الذي يعدها شخصيات مقدسة وهذا ما أراد الراوي الوصول إليه من خلال شخصيات تاريخية مثلت التحدي والمواجهة، والنضال ضد قوى الظلم والقهر. لقد جعلنا الكاتب على الرغم من تباعد تجربتي الاستشهاد تحت سيطرة إحساس يتعاظم في داخلنا من أن الصوتين المزدوجين المنبثقين من الوعي الداخلي ما هما إلا صوت شخصية واحدة، يندرج الوعي في داخلها زمنياً ومضمونياً من طقوس المواجهة اليومية للاستلاب إلى معايشة طقوس الاستشهاد، حتى يكون هذا الصوت متقارباً في نهاية القصة من تقمص تجربة الاستشهاد التاريخية، ونعتقد أن الكاتب يوظف ويستبصر الراسب الثقافي الخاص به حقاً طقوس العزاء. إذ تكون تجربة الشخصية التاريخية المنظور إليها في الرواية بمثابة وعي جانبي أو تصور موازٍ .. يصب في الوعي الكلي بالموقف الاجتماعي أو الإنساني الذي تتبناه الشخصية الأساسية ليكون أصلاً لوجود أو نبضها لحياة في صيرورته واستمراره مع ظروف القوى الاجتماعية الراهنة . وأيا ما كان الأمر فإن التجربة الجديدة في النص الروائي استطاعت أن تكتسب وعياً مغايراً بالتاريخ وسائر الرموز المنحدرة من رواسب الثقافة الفنية الواسعة، فقد جعلت من التجارب الماضية وسيلة للبحث عن الذات الحقيقية بين تراكمات الواقع وتناقضاته . ومجالاً لاكتشاف العنصر الجوهري في الإنسان وتفجيره، في هذا الظرف - اللاعقلاني - الحالك الذي تمر به القوى الاجتماعية .

المبحث الثاني :مرجعيات الشخصية

لا تخلو أحداث من دون شخصيات تقوم بفعلها ، وقد اهتمت الرواية العربية المعاصرة بالشخصيات التاريخية في سردها لأحداث التاريخ، وتعددت نماذج الشخصيات التاريخية تبعاً لتعدد الأحداث التاريخية الموظفة، فثمة شخصيات تاريخية مثلت التحدي والمواجهة، ضد قوى الظلم والقهر، وثمة شخصيات مثلت الحاكم الضعيف، أو المستبد، وثمة شخصيات مثلت الحاكم العادل.وفي رواية قديسو حدياب تتمظهر شخصية (مار قرداغ) تلك الشخصية التاريخية التي مثلت التحدي والمواجهة ضد السلطة الساسانية التي قادت حملة اضطهاد ضد النصارى في عهد سابور الثاني وقد شملت هذه الحملة مملكة حدياب في عهد (قرداغ) [١٧] ومثلت شخصية (قرداغ)شخصية الحاكم المستبد بحسب ماأشارت إليه المصادر التاريخية ،وبحسب ورودها في النص الروائي كذلك **"أنت مرزبان شجاع وحكيم وتدير دفة أمور المملكة بحبكة وحكمة الشيوخ ...ولكن..لكن ماذا ياأم؟ إنك قاس جدا مع أتباع الناصري. إنني غيور على دين الآباء والأجداد..قسوتك أحيانا،وخصوصا عليهم يفوق الخيال.."** [١٨]

ومثلت كذلك شخصية الحاكم العادل بعد إيمانه بالنصرانية ولقائه ب (مارعوديشو)و(ربن بويا) ونيله التعميد منهما،وقد استطاع الكاتب بهذه الحبكة الروائية أن يجمع بين هذه الشخصيات الثلاث بقالب روائي مستفيداً بذلك من المقاربات التاريخية التي تجمعهم وهي نصرة الديانة النصرانية وتبليغ هذه الرسالة إلى العالم "**فتقدم قرداغ من الشيخ ثم ارتمى على صدره يقبله من لحيته الكثة البيضاء ويردد بحرارة..**

ربن بويا.

كيف عرفتني..

سمعت عنك كثيرا أيها القديس.....

ثم وضع كفه على رأس قرداغ وهمس

ليباركك الرب."[١٩]

وتعد هذه التحولات في الشخصية الروائية التي تمكن الكاتب الزج بها في النص الروائي بمثابة التدليل على المراحل التي تمر بها النفس الإنسانية من تحولات خلال مراحل حياتها.ويتضح أن المحاولة التي يطمح الكاتب إلى إنجازها تكمن من تجربة ذهنية لقلب وجهة النظر إلى النص وآليات انسجامه.و تنطلق من التخلي عن فرضيات القارئ المجرد،إلى قارئ /منتج موضوعي قابل لامتلاك أنواع الوعي الممكنة كلها من خلال التمثل والتمثيل التلقائي في النص الروائي موضوع البحث.[٢٠]

وعمد الكاتب إلى تصدير روايته بنصوص تاريخية منتزعة من كتب المؤرخين، و بنصين، أحدهما ديني، والثاني تاريخي، ويتحدث النص عن مملكة حدياب. ومن الواضح أن النص التاريخي الموظف يلتقي وعنوان الرواية، وكأنه تمهيد لموضوع الرواية وأحداثها.التي ستتحدث عن قديسو حدياب الثلاثة (ربن بويا /مارعوديشو /مارقرداغ). ولعل الدافع إلى توظيف النص الديني والتاريخي وتصدير الرواية بهما، فضلاً عن تلخيص موضوع السرد، هو توثيق المعلومات التاريخية التي يدور حولها السرد الروائي، لإقناع القارئ بصدق المعلومات التاريخية المسرودة.

ويمكن أن يفسر اهتمام الكاتب بالشخصيات الدينية أو التاريخية التي اختارت المواجهة والتحدي، ضد السلطة الحاكمة رغبة منه بإسقاط تاريخ هؤلاء القديسين على الحاضر، الذي هو أحوج مايكون إلى شخصيات ثورية تواجه الظلم، وتقف بوجه الظالمين.ونصرة للقيم التي تحملها حتى تنال الشهادة في سبيلها .ولربما أفاد الكاتب من قصة أهل الكهف الواردة في النص التوراتي والقرآني على حد سواء في البناء المعماري لحياة القديسين وفرارهم بدينهم إلى أعالي الجبال أو الكهوف :"**قرر الشاب بويا أن يتخذ من كهوف جبل ليس ببعيد مسكننا دائما له،انقطع فيها عن المباهج الدنيوية الزائلة باحثا ومتقصيا عن الأبدية .وزاده الكتاب المقدس**"[٢١] وقال (مارعوديشو) :"**سأعتزل في الجبل ...**

فغرت مرتا فاها،وقبل أن تتكلم قال عود يشو....

إنه قراري الحاسم ..

ثم التفت إلى مرقس،وقال ..

غدا فجرا سأتسلق الجبل وأسكن مغارة الناسك صديقي"[٢٢]

أما حكاية (مارقرداغ) فيبدو أن الكاتب قد استدعى في نهايتها قصة سيدنا إبراهيم وولده إسماعيل وقصة الذبح والفداء. وقد حاول الراوي إيهام القارئ بأن التجربتين متوازيتين، معتمداً في

ذلك على التناص، أي تداخل النصوص، من خلال الإشارة.أما النص الروائي فعلى النقيض من ذلك إذ نرى الأب(كوشناوي) هو الذي رجم (قرداغ) بيده وقتله بعد أن طلب (قرداغ) ذلك:"**لن تفيض روحي إلى الرب،إلا بعد أن يرجمني أبي بحجر**..

وكأنه كان ينتظر هذه الإشارة،التقط حجرا مسننا،وهبط الربوة وتقدم من الشاب الذي كان ينظر بعينين تفيضان بالنبوة الأرضية وتسموان نحو أفق بعيد،وحين وقف إزاءه،غطى النبيل كوشناوي وجهه بمنديل،ثم رمى حجره،فسقط على جبين الشاب الذي تسامى وهو يقول ماقاله اسطفانوس ..

يارب، لاتحسب عليهم هذه الخطيئة.."[٢٣]

وقد أدى هذا القتل إلى انقطاع العلاقة بين الأب والابن،والذي أدى إلى خلاص (قرداغ) من الآلام،هذا في اعتمادنا على التأويل والمعنى العميق وليس الظاهري . وهكذا طرح هيثم بهنام بردى حلاً للتخلص من الظلم والشر، والاستغلال، ووسيلة لخلاص الإنسان، وبلوغه السعادة المطلقة. وبناءً عليه، تحول (مارقرداغ) من حاكم ومرزبان تخافه الرعية والأعداء، إلى إنسان آخر، يدافع عن المظلومين، ويناضل ضد قوى الظلم، ثم سما بروحه إلى منزلة سامية، بعد أن تخلص من جانب الشر في داخله، ووصل إلى مرحلة صار يرى فيها ما لا يراه الآخرون."**أين كنت** ..

والقريبون والبعيدون سمعوا صوتا خارقا..

إنني معك ..

إني على استعداد، ياأخي ماركوركيس..

سنكون معا بعدقليل،ومعنا ملائكة السماء،والقديسين والأطهار والشهداء..

إني مستعد..

هيا..

والتفت المرزبان الملثوم جسده،والمتسامية روحه،إلى الجمع الملجوم الباحث عن مصدر الصوت الخارق،والتي تحاول أدمغتهم إيجاد تفاسير لما تسمع وترى "[٢٤]

لقد وظف الروائي فكرة المخلص، وصور بعضهم شخصيات روايته شبيهة بشخصية المخلص،كشخصية (ربن بويا ومار عود يشو) ووظف بعضا من التراث الصوفي كالانصراف عن اللذات وشهوات النفس والزهد في الحياة الدنيا، والمراتب التي يرتقيها الإنسان المتصوف للفناء في الله، وإدراك الحقيقة المطلقة، كما تم طرح الصوفية حلاً للخلاص من الظلم والشر والاستغلال.

وأغلب الظن أن الكاتب قد قرأ التاريخ الصوفي بتمعن ليتمكن من تحميل شخصياته البعد الصوفي فضلاً عن التاريخي و الديني على حد سواء ، وشيد عليها معمار روايته التي تشربت النص الديني على مستوى الأحداث والسرد والشخصيات .

خاتمة البحث:

بعد الانتهاء من الدراسة التحليلية للبعد التاريخي للشخصية في رواية قديسو حـــدياب للقـــاص هيثم بهنام بردى،توصل البحث إلى النتائج الآتية :

- اشتغلت الرواية على توظيف الأبعاد التاريخية والدينية على السواء،من خلال الاعتمـــاد علـــى الوثيقة النصرانية في إنتاجها أعلاماً ومواصفات.وسعت إلى التعريف بقدامة الديانة النصرانية، ومافيها من تسامح وأعلام مقدسة.
- اعتمدت معمارية الرواية في بنائها على توظيف النص الديني على مستوى الأحـــداث والـــسرد والشخصيات.
- يمكن أن يفسر اهتمام الكاتب بالشخصيات الدينيـــة أو التاريخيـــة التـــي اختـــارت المواجهـــة والتحدي، ضد السلطة الحاكمة رغبة منه بإسقاط تاريخ هؤلاء القديسين على الحاضر، الذي هو أحوج مايكون إلى شخصيات ثورية تواجه الظلم، وتقف بوجه الظالمين.ونـــصرة للقـــيم التـــي تحملها حتى تنال الشهادة في سبيلها .
- استطاعت التجربة الجديدة في النص الروائي أن تكتسب وعياً مغايراً بالتاريخ وسائر الرمـــوز المنحدرة من رواسب الثقافة الفنية الواسعة، فقد جعلت من التجارب الماضية وسيلة للبحث عن الذات الحقيقية بين تراكمات الواقع وتناقضاته . ومجالاً لاكتشاف العنصر الجوهري في الإنسان وتفجيره، في هذا الظرف - اللاعقلاني - الحالك الذي تمر به القوى الاجتماعية .

المصادر والمراجع:

أولاً المصادر:

- قديسو حدياب (رواية)/ هيثم بهنام بردى/ مركز أكد للطباعة والإعلان/ط١ عينكاوا – أربيل/ ٢٠٠٨.

ثانياً المراجع:

- آليات إنتاج النص الروائي/ عبد اللطيف محفوظ/ الدار العربية للعلوم ناشرون /ط١بيروت/ ٢٠٠٨
- بحوث في الرواية الجديدة /ميشال بوتور/ترجمة: فريد أنطونيوس/ دار عويدات/ط١ /بيروت /١٩٨٢/
- بنية النص السردي /حميد لحمداني /المركز الثقافي العربي/ط٢/ بيروت/ الدار البيضاء/ ١٩٩٣
- ا لتخيل التاريخي(السرد،والإمبراطورية،والتجربة الاستعمارية) عبد الله إبراهيم/المؤسسة العربية للدراسات والنشر/ط١/بيروت/٢٠١١ .
- الذاكرة، التاريخ، النسيان/بول ريكور/ترجمة/جورج زيناتي/ دار الكتاب الجديد المتحدة/بيروت/٢٠٠٩ .
- الرواية وتأويل التاريخ(نظرية الرواية والرواية العربية)/فيصل دراج/ المركز الثقافي العربي/ط١/بيروت/ الدار البيضاء/٢٠٠٤ .
- الرواية والتاريخ(دراسات في تخييل المرجعي) محمد القاضي / دار المعرفة للنشر/تونس/٢٠٠٨ .
- الرواية العربية(البناء والرؤيا) سمر روحي الفيصل/ منشورات إتحاد الكتاب العرب/دمشق/٢٠٠٣ .
- الزمان والسرد،الحبكة والسرد التاريخي/ بول ريكور/ترجمة/فلاح رحيم، وسعيد الغانمي/دار الكتاب الجديد المتحدة/بيروت/٢٠٠٦ .
- سيرة أشهر شهداء المشرق القديسين/أدي شير/ج١/معهد التراث الكردي/ط٢/أربيل٢٠٠٩
- الشخصية الروائية بين الكلاسيكي والمنظور الحداثي/محمد أقضاض/المركز الثقافي العربي/الدار البيضاء/المغرب/١٩٩٥
- فضاء النص الروائي/محمد عزام/دار الحوار للنشر والتوزيع/ط١/اللاذقية/سوريا/ ١٩٩٦
- مفهوم التاريخ /عبد الله العروي /المركز الثقافي العربي/ط١/بيروت / ١٩٩٢
- موسوعة الموصل الحضارية /مج ١/ دار الكتب للطباعة والنشر/جامعة الموصل/ط١/١٩٩١

- نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)/عبد الملك مرتاض/ سلسلة عالم المعرفة / ع٢٤٠ / الكويت / ١٩٩٨.

ثالثاً: الدوريات:

- الرواية التاريخية وتمثل الواقع/عبد اللطيف محفوظ/ مجلة الموقف الأدبي /العدد -٤٣٨ لسنة ٢٠٠٧ .

من الرواية التاريخية الى التخيل الروائي/عبد الله إبراهيم/ مجلة العرب القطرية/٢٨ -نيسان - ٢٠١٠.

هوامش البحث:

(١) الشخصية الروائية بين الكلاسيكي والمنظورالحداثي/محمد أقضاض/٢٧ .

(٢) التخيل التاريخي(السرد والامبراطورية والتجربة الاستعمارية)/عبد الله إبراهيم/٥ -٦.

(٣) الرواية وتأويل التاريخ(نظرية الرواية والرواية العربية)/فيصل دراج/١٣٣ .

(٤) الزمان والسرد،الحبكة والسرد التاريخي/بول ريكور/ترجمة/فلاح رحيم/٢٨/٢.

(٥) الرواية العربية(البناء والرؤيا)/سمر روحي الفيصل/٤٥ .

(٦) الذاكرة، التاريخ، النسيان/بول ريكور/ترجمة/جورج زيناتي/٣٧٩ .

(٧) الرواية والتاريخ/محمد القاضي(دراسات في تخييل المرجعي) ٢٣ -٢٤ .

(٨) من الرواية التاريخية الى التخيل الروائي/عبد الله إبراهيم/مجلة العرب القطرية/٢٨ -نيسان - ٢٠١٠/ص ٣٢ .

(٩) الرواية والتاريخ/محمد القاضي م٨٦ -٨٧ .

(١٠) الرواية التاريخية وتمثل الواقع/عبد اللطيف محفوظ/مجلة الموقف الأدبي /العدد -٤٣٨لسنة ٢٠٠٧ /١٧٦ .

(١١) نظرية الرواية(بحث في تقنيات السرد)/عبد الملك مرتاض/٨٦ .

(١٢) قديسو حدياب(رواية)/هيثم بهنام بردى /١٢

(١٣) بنية الخطاب السردي/حميد لحمداني /٦٢

(١٤) قديسو حدياب/هيثم بهنام بردى/٣٣ .

(١٥) سيرة أشهر شهداء المشرق القديسين/أدي شير/١/٢٧٦ -٢٨٧ .

(١٦) ينظر:بحوث في الرواية الجديدة /ميشال بوتور/ترجمة:فريد أنطونيوس/٦٦

(١٧) موسوعة الموصل الحضارية /مج ١/١٥٠

[١٨] قديسو حدياب/١٤٥-١٤٦ .

[١٩] م.ن /٢١٤-٢١٥ .

[٢٠] آليات إنتاج النص الروائي /عبد اللطيف محفوظ/١٥٨

[٢١] قديسو حدياب /٣٤ .

[٢٢] م.ن/٥٦ .

[٢٣] م.ن/٣٢٤ .

[٢٤] قديسو حدياب/٣٢٣ .

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.